



المشتركة التي استهدفت تجريدهم من بعض ممتلكاتهم لصالح مؤيدي الصميل من جندي قنشرين ودمشق. ولقد كان هؤلاء اليمينيون، بالإضافة إلى الكثير من جماعات البلديين الأوائل، والبربر، وحتى بعض الأفراد القيسيين من جندي دمشق وقنشرين، الذين نفروا أيضاً من سياسة الصميل، يفضلون أي تغيير سياسي في البلاد، فسارعوا بالانضمام إلى تأييد دخول عبد الرحمن إلى الأندلس^(١٦).

استغل موالي بني أمية نجاح الدعوة لعبد الرحمن، فعجلوا في العمل على وصوله إلى الأندلس وبخاصة أن يوسف والصميل كانا مشغولين في حملتهما على المتمردين في سرقسطة. فابتاعوا قارباً، وأرسلوا خمسمئة دينار مع وفد يتألف من أحد عشر عضواً، يرافقهم بدر الذين كان قد رجع من شمال أفريقيا. وكان هذا الوفد برئاسة تمام بن علقمة الثقفي، ويتألف في معظمه من الموالي. وكان على تمام أن ينفق المال على الأمير عبد الرحمن، ويوزع منه على مضيفه من بربر مغيلة الذين كان يعيش عند شيخهم أبو قرعة المغيلي. ومن الجدير بالذكر أن هذه الخمسمئة دينار كانت من بقية المبلغ الذي أخذه الموالي من يوسف الفهري لكي يرافقه في زحفه على سرقسطة، وقد شاءت الأقدار أن يستعمل هذا المال في نصرة زعيم آخر ينازع يوسف إمارة الأندلس. وعند وصول الوفد إلى شمال أفريقيا، قدمهم بدر إلى سيده عبد الرحمن، وأخبره عن نجاحهم في الأندلس. وبعد أن تم استرضاء بربر مغيلة، أبحر الأمير عبد الرحمن إلى الشاطئ الإسباني، فنزل في ميناء المُنْكَب Almunecar، وهو ميناء صغير يقع بين مدينة المرية ومالقة، في ربيع الثاني 138هـ/أيلول 755م. وقد استقبله كل من عبد الله بن خالد، وأبي عثمان، اللذان أخذاه أولاً إلى منزل ابن خالد في الفنتين، ومن ثم إلى مسكن ابن عثمان في قرية طُرش^(١٧).

دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس:

أحدث وصول عبد الرحمن إلى الأندلس حركة نشيطة بين صفوف أنصاره من الموالي وغيرهم من اليمينيين. فجاءه إلى مقره في طُرش أبو الحجاج يوسف بن بخت، وجاءته الأموية كلها، كما وفد عليه كل من جدار بن عمرو المذحجي من أهل رية، وعاصم بن مسلم الثقفي، وأبو عبدة حسان، وغيرهم. وأخذ معسكر عبد الرحمن يزداد

(16) قارن: أخبار مجموعة، ص 74 - 182 ابن عذاري: 44/2؛ المقرئ: 31/3.
(17) انظر: ابن القوطية، ص 124؛ أخبار مجموعة، ص 74 - 176 ابن عذاري: 44/2.

وعلى الرغم من إدعاء الصميل أنه قد فكر في الأمر وتروى فيه، يبدو أنه لم يكن أكداً تماماً من موقفه إزاء عبد الرحمن بن معاوية. فيُروى أنه حينما أعطى جوابه إلى يمي الموالي في ذلك الصباح، كان قد استيقظ وهو كاره ليوسف الفهري، ولم يكن تماماً خطورة موافقته على دخول عبد الرحمن⁽¹⁴⁾. ولهذا فبعد أن غادره أبو عثمان بد الله بن خالد، فكر الصميل أكثر بالأمر ودرس نتائجه الخطيرة، وماذا سيكون من القبائل العربية في الأندلس، بل ماذا سيكون من أمره هو، لأنه بالتأكيد أول من نقد نفوذه القوي وزعامته للبلاد. وما أن أدرك الصميل ذلك، حتى بادر بإرسال أحد من يطلب إلى الزعيمين الأمويين التوقف، وذهب إليهما بنفسه، وأخبرهما عن تغيير إزاء قضية عبد الرحمن بن معاوية. وقد أوضح لهما موقفه قائلاً: بأنه قد فكر أمر، وتوصل إلى أنه لا يتمكن من تأييده، لأنه، أي عبد الرحمن بن معاوية، من قوة يكفي أي فرد منها أن يطغى بنفوذه على كل زعماء الجزيرة، ويضمنهم صميل نفسه. كما لفت انتباههما إلى أنهم ملزمون جميعاً بطاعة يوسف الفهري الذي ضاع دوماً إلى آرائهم، وينفذ مطالبهم. واختتم الصميل حديثه معهم بالقول بأنه كون أول من يسلم سيفه على عبد الرحمن ويحاربه ولكنه، مع ذلك، على استعداد انته في أمره إن طلب غير السلطان والولاية، وإنه سيضمن له مواسة يوسف وإكرامه تزويجه من ابنته⁽¹⁵⁾.

صال بزعماء القبائل اليمنية ونجاح دعوة عبد الرحمن:

بعد أن فقد زعيما الموالي الأمل في مساعدة الصميل، وبالتالي مساعدة جندي يمين ودمشق، لم يكن أمامهما سوى الاتصال بجماعة اليمنيين الذين كانوا يقيمون بر من البلديين الأوائل، ومعظم رجال الأجناد في حمص والأردن وفلسطين. ومن قفي طريق عودتهما إلى بلدهما، فاتحا كل من يوثق به من الزعماء اليمنيين، يهما إلى تأييد مشروعهما بتحويل الحكم في الأندلس إلى عبد الرحمن بن معاوية. نجحا في ذلك نجاحاً كبيراً، وكانت استجابة اليمنيين مشجعة جداً. ويعود السبب ذلك إلى أن اليمنيين كانوا منذ هزيمتهم في شقندة يتحينون الفرصة للانتصاف هم من الصميل ويوسف. يضاف إلى ذلك، امتعاضهم من إدارة الصميل ويوسف

أخبار مجموعة، ص 71؛ فتح الأندلس، ص 48.
أخبار مجموعة، ص 74؛ انظر أيضاً: ابن القوطية، ص 23 - 24.

عن المطالبة بإمارة الأندلس. وهناك إشارة إلى أن الوفد عرض على عبد الرحمن أيضاً ولاية منطقتين، هما جند دمشق في البيرة، وجند الأردن في رية⁽¹⁹⁾. وقد سار الرسل نحو طرش، ولكنهم ما إن وصلوا إلى أرش Orch في أدنى كورة رية، حتى تركوا أحدهم مع الهدايا، حيث كان عليه أن يرجع بها إلى قرطبة في حالة عدم التوصل إلى اتفاق مع عبد الرحمن. وكان الوفد يحمل تعليمات بعرض الصلح والمصاهرة والسلم على عبد الرحمن، وقد مال بعض مؤيديه إلى قبول ذلك، فطلب الأمير من أبي عثمان أن يجيب على رسالة يوسف بالقبول. ويبدو أن أبا عثمان لم يكن راضياً عن نتائج المفاوضات، ولهذا فقد افتعل خصاماً مع أحد الرسل بشأن الرد على الرسالة، وألقى القبض عليه. ثم ذكر الموالي الأمويون لعبد الرحمن أن هذا الحادث هو فاتحة خير ونصر لهم جميعاً على يوسف الفهري. ثم أطلقوا سراح الرسول الثاني، وحاولوا الاستيلاء على الهدايا المخلفة مع الرسول الثالث في أرش، لكن الأخير، وقد علم بنبا الخصام، نجح بالفرار إلى قرطبة⁽²⁰⁾.

تنظيم أنصار عبد الرحمن وبدء الصراع مع يوسف الفهري:

لقد كان زعماء موالي بني أمية يعرفون موقف الصميل الدقيق من الأمر، ولا يعتقدون أبداً بإمكانية التوصل إلى حل وسط بين الطرفين. ومن هنا فقد شرعوا فور وصول عبد الرحمن إلى الأندلس بالقيام بسلسلة من الاتصالات مع مختلف الجماعات في المناطق المجاورة. فتوجه يوسف بن بخت إلى كورة رية حيث ضمن تأييد جند الأردن. وكذلك سار عبد الله بن خالد إلى جند فلسطين في شذونة. أما أبو عثمان فقد بقي في طرش ليهتم بأمر عبد الرحمن، وينظم أولئك الذين جاؤوا لنصرته. ولقد كانت ردود فعل الجندين المذكورين آنفاً مشجعة جداً، أما جندا قنسرين ودمشق، فقد وقفا إلى جانب يوسف والصميل، باستثناء بعض أفرادهما الذين انضموا إلى عبد الرحمن. وقد قرر موالي بني أمية وعبد الرحمن مغادرة كورة البيرة لعدم توفر مؤيدين كثيرين في هذه الكورة. وكانت خططهم السير إلى الأجناد التي تضم أهل اليمن في رية وشذونة وإشبيلية، أي أجناد الأردن وفلسطين وحمص. فساروا بستمثة فارس إلى كورة رية. وقد أيد قائد جند الأردن، جدار بن عمرو، عبد الرحمن، وطلب من خطيب جامع

(19) ابن علدري: 145/2 فتح الأندلس، ص 52.

(20) أخبار مجموعة، ص 80 - 82.

350هـ) حصرت ولاية الشرطة العليا في أولاد الوزير القائد أبي العباس أحمد بن محمد، فتولاها أولاده الثلاثة: عباس وعبد الله وعيسى، وتولاها كذلك حفيده أحمد ابن عيسى⁽¹¹⁵⁾.

ونجد في أحداث القرن الرابع الهجري أن صاحب المدينة كان مستقلاً عن صاحب الشرطة، ونستدل على ذلك بما قاله ابن حيان في أحداث عام 361هـ: «نظر الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان مع صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر فيما عهد إليه الخليفة المستنصر بالله»⁽¹¹⁶⁾. واستمر كذلك أيام الحكم المستنصر (350 - 366هـ) الأنواع الثلاثة للشرطة، العليا والوسطى والصغرى⁽¹¹⁷⁾.

وأعطيت لصاحب الشرطة صلاحيات واسعة في الأندلس، تصل أحياناً إلى تنفيذ حكم الإعدام دون الرجوع إلى الحاكم (الخليفة)⁽¹¹⁸⁾. وقد أشار ابن عبدون لهذه الخطة وسمى صاحبها الحاكم، وذكر لنا الصفات الجليلة التي يجب أن تتوفر فيه⁽¹¹⁹⁾. ويبدو أن هذه الصفات كانت نظرية، فوجد عملياً من تولى أمر الشرطة من وصف بالتأخر في عقله وعلمه أمثال أمية بن أحمد بن حمزة القرشي الأموي (توفي عام 393هـ)⁽¹²⁰⁾، ومحمد بن يحيى بن قاسم القيسي (توفي عام 411هـ)، وحسن بن محمد بن ذكوان (توفي عام 451هـ)⁽¹²¹⁾.

ووجدت لدينا روايات تشير إلى أن صاحب الشرطة قد كلف بأعمال خارج اختصاصه، فمثلاً نرى صاحب الشرطة أحمد بن نصر شارك مع غيره في تشييد محراب المسجد الجامع على عهد الخليفة الحكم المستنصر⁽¹²²⁾. كما كلفه الخليفة المستنصر - بعد أن أعطاه ولاية السوق، بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها وهلم

(115) ينظر، ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص 97، ص 107، ص 210، ص 215 - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 159 - 160، ص 167، ص 193، ص 196 - 197.

(116) ابن حيان، المقتبس، تح الحجي، ص 66.

(117) أيضاً، ص 59 - خلاف، «صاحب الشرطة» ص 65، ومجلة أوراق، ص 72 - 76.

(118) ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 54.

(119) ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص 11.

(120) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 266.

(121) ابن بشكوال، الصلة، ترجمة (312)، ترجمة رقم (1102).

(122) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 167.

350هـ) حصرت ولاية الشرطة العليا في أولاد الوزير القائد أبي العباس أحمد بن محمد، فتولاها أولاده الثلاثة: عباس وعبد الله وعيسى، وتولاها كذلك حفيده أحمد ابن عيسى⁽¹¹⁵⁾.

ونجد في أحداث القرن الرابع الهجري أن صاحب المدينة كان مستقلاً عن صاحب الشرطة، ونستدل على ذلك بما قاله ابن حيان في أحداث عام 361هـ: «نظر الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان مع صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر فيما عهد إليه الخليفة المستنصر بالله»⁽¹¹⁶⁾. واستمر كذلك أيام الحكم المستنصر (350 - 366هـ) الأنواع الثلاثة للشرطة، العليا والوسطى والصغرى⁽¹¹⁷⁾.

وأعطيت لصاحب الشرطة صلاحيات واسعة في الأندلس، تصل أحياناً إلى تنفيذ حكم الإعدام دون الرجوع إلى الحاكم (الخليفة)⁽¹¹⁸⁾. وقد أشار ابن عبدون لهذه الخطة وسمى صاحبها الحاكم، وذكر لنا الصفات الجليلة التي يجب أن تتوفر فيه⁽¹¹⁹⁾. ويبدو أن هذه الصفات كانت نظرية، فوجد عملياً من تولى أمر الشرطة من وصف بالتأخر في عقله وعلمه أمثال أمية بن أحمد بن حمزة القرشي الأموي (توفي عام 393هـ)⁽¹²⁰⁾، ومحمد بن يحيى بن قاسم القيسي (توفي عام 411هـ)، وحسن بن محمد بن ذكوان (توفي عام 451هـ)⁽¹²¹⁾.

ووجدت لدينا روايات تشير إلى أن صاحب الشرطة قد كلف بأعمال خارج اختصاصه، فمثلاً نرى صاحب الشرطة أحمد بن نصر شارك مع غيره في تشييد محراب المسجد الجامع على عهد الخليفة الحكم المستنصر⁽¹²²⁾. كما كلفه الخليفة المستنصر - بعد أن أعطاه ولاية السوق، بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة لضيقها وهلم

(115) ينظر، ابن حيان، المقتبس، ج 5، ص 97، ص 107، ص 210، ص 215 - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 2، ص 159 - 160، ص 167، ص 193، ص 196 - 197.

(116) ابن حيان، المقتبس، تح الحجي، ص 66.

(117) أيضاً، ص 59 - خلاف، «صاحب الشرطة» ص 65، ومجلة أوراق، ص 72 - 76.

(118) ابن عذاري، البيان، ج 3، ص 54.

(119) ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص 11.

(120) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 266.

(121) ابن بشكوال، الصلة، ترجمة (312)، ترجمة رقم (1102).

(122) ابن الفرضي، تاريخ، ترجمة رقم 167.

